Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يحتشد الطير الصدّاح تحت اللّسان. ويأتى تذوّقها من المحيطين به مثل كعك الأقرباء المكوّن من سكّر ذائب فى ماء الشعير. هنا نجد أنفسنا فى واقع الأمر حيال بطانة سرديّة سخيّة، تجعل تراسل البديليْن المتطابقين : العرس / النّظم يتمّ عبر عدد من الرّموز الغنيّة التى تزداد خصوبتها بهذا الازدواج الجميل.

فعندما يقول مثلاً : "القمح ربا للركبتين" ينشطر هذا النمو الداخلى للسنابل المباركة إلى وجهتين متوازيتين : إحداهما لصناعة الحياة والأخرى لتكاثر الكلام الشعرى الطيّب. غير أنّ الجمع بينهما فى صورة مكثّفة واحدة هو الذى يولد بالتبادل المعتمد على إيحاءات الكلام الثقافيّة علاقتهما المخصبة. ومع أنّ انتثار عقد الكهرمان بعد أن مضى هودج اللّيل قد يستحضر لدى بعض القرّاء المعايشين للتراث الدينى "حديث الإفك" غير أنّ النصّ يتفادى إثارته بلباقة بالغة، بحيث تتخفّف الذاكرة ممّا تحمل من إرث لتلمع الأنجم وهى تزدان بما يرسمه الكحل عليها، ولايبقى سوى ما له النعمة والمجد فى مقام قدسى ينتهى كما بدأ بحالة الاستواء على الماء. وحينئذ يتجلّى لنا طابع هذا الشّعر الذى لا يستفزّ المأثور ولا يجرح الحواس والوجدان، بل يغوص فى أحشاء هذه السلالة التى ينبثق منها برفق، مستثمراً إنجازاته التعبيريّة وصيغه الطينيّة الأثيرة لخلق عالم مكثّف لكنّه مفعم بالتجانس والاتساق.

سرعان ما ندرك حينئذٍ أنّ القصيدة يسرى فيها تيّار أفقى موصول، يضفى عليها درجة عالية من التناغم، الأمر الذى يخفّف من أثر البعد وشبه الغياب الذى تخلّفه دلالاتها المستكنة فى ضمير النّصّ الخفى. ويتمثّل هذا التيّار فى سريان صوت القصيدة وتماهيه الواضح مع "الأنا" الشعرية، بحيث لا يكون هناك تجاذب عنيف فى فواعل النّصّ ولا تقاطع حادّ فيما بينها، دائماً نجد صوت القصيدة متقدّماً يمحو حالات الضلال والتّشويش ويعزّز بلورة البؤرة المتمثّلة فى الذّات الشعريّة كعمود فقرى للنّصّ دون مراوغة أو طمس. كما ينتظم فى قصيدة عفيفى مطر عنصر آخر نمثّل له بالضوء المصفّى. فإيقاعات الانتقال عنده هادئة محسوبة، وعلاقات الصور لديه ممتدّة بارتياح كبير، ليست هناك تكسّرات فجائيّة، ولا اهتزازات ضدّيّة، لا يعشى بصر القارئ فجأة، بل يغمره بموجات موقّعة بدقّة من الضوء الهادئ والظلال المتراقصة الّتى تنبعث من "مشربيّته" التعبيريّة، حتّى يصبح بوسعه أن يتفاعل مع هندسة التركيب الكلّى للنّصّ، لتتجلّى له رؤية مكيّفة لما يطلّ عليه، وشعور ناعم